نزهة العمر

في

التفضيل بين البيض والسود والسمر

تأليف

الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي

المتوفى سنة ٩١١ هـ

عن نسخة كتبها الشاعر الأديب إبراهيم بن المبلط سنة ٩٧٦ هـ

الطبعة الأولى بنفقة

المكتبة العربية في دمشق

لاصحابها عبيد اخوان

مطبعة الترقي بدمشق

١/١٠/١٣٤٩/ ٢٠٠٠

نزهة العمر

في

في التفضيل بين البيض والسود والسمر

تأليف

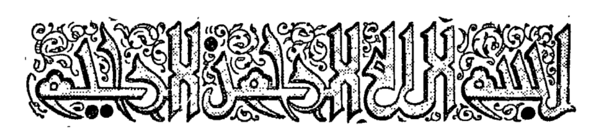
الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي
المتوفى سنة ٩١١ هـ

عن نسخة كتبها الشاعر الأديب إبراهيم بن المبلط سنة ٩٧٦ هـ

الطبعة الأولى بنفقة

المكتبة العربية في دمشق
لأصحابها عبيد اخوان

مطبعة الترقي بدمشق
١/١٠/١٣٤٩/٢٠٠٠



رب يسر يا كريم

الحمدُ لله وسلامٌ عَلَى عباده الَّذين اصطفى . وبعد فقد ألَّف جماعة من الأدباء في التفضيل بين البيض والسمر ، وقد خالف ابن المَرْزُبان فألف كتاب السودان وفضلهم عَلَى البيضان ، ولا استكثر هذا عليه ، فإنه ألف كتاب تفضيل الكلاب عَلَى كثير ممن لبس الثياب ، فإذ افضل الكلاب عَلَى بني آدم لم يكثر عليه أن يفضّل السودان عَلَى البيضان .

وقال الحافظ المنذري في تاريخه : تنازع رجلان في فضائل البيض والسود فألف أبو العباس الناشئ رسالة في تفضيل السود عَلَى البيض ، وهذا عندي أيضاً يشابه الذي عمل مفاخرةً بين الذهب والزُّجاج . وهذا كتاب لطيف جامع لما ذكر في تفضيل البيض والسود والسمر ، يسمى (نزهة العمر)

قال وكيع في الغرر : حدَّثنا محمد بن إسماعيل الحساني حدّثنا وكيع بن الجراح عن زياد ابن خيثمة عن نُعَيم بن أبي هند عن عمر الأعور عن عبد الله بن جعفر عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : البياض نصف الحسن ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف . وأخرج ابن عساكر عن خالد بن صفوان قال : عَمُودُ الجمال الطول ، ورداؤه البياض ، وبرنسه سواد الشعر .

وقال الحافظ محبّ الدين بن النجار في تاريخه : قرأت عَلَى عجيبة بنت أبي بكر الحافظ عن القاسم بن الفضل بن عبد الواحد قال : كتب إليَّ أبو عبد الله العُميري أخبرنا أبو سعد شعيب بن محمد بن إبراهيم البُوشنجي حدّثنا أبو العباس محمد بن محمد بن الحسن بن العباس الرشيدي البغدادي حدثني محمد بن هبة الله بن المهتدي بالله حدَّثني أبي هبة الله بن المهتدي بالله حدَّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه إبراهيم بن المهدي عن أبيه المهدي عن أبيه المنصور عن أبيه محمد بن علي عن عبد الله عن أبيه عبد الله ابن عباس في قوله تعالى : (صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً) قال : البياض .

ذكر ما قيل في البيض

قال البهاء زهير:

يا مغرماً بالسمر ما … أنا فيهمُ لك متَّبِعْ
لكن عليَّ حبّ الحسا … ن البيض قلبي قد طُبِعْ
والحقُّ أبيضُ أبلجٌ … والحقُّ أولى ما اتُّبِعْ

وقال أيضاً:

ألا إن عندي عاشقَ السُّمر غالطٌ … وإنَّ الملاحَ البيضَ أبهى وأبهج
وإني لأهوى كلَّ بيضاءَ غادةٍ … يضيءُ لها وجهٌ وثغرٌ مُفلَّج
وحسبيَ أني أتبع الحقَ في الهوى … ولا شكّ أن الحقَ أبيضُ أبلج

وقال شرف الدين بن المستوفي:

لا يخدعنّك سُمرَةٌ غرّارَةٌ … ما الحسن إلاّ للبياض وجنسه
فالرمح يقتلُ بعضُهُ من غيره … والسيف يقتل كلُّه من نفسه

وقال عرقلة الدمشقي:

إن كنتَ بالاسمر الزيتي مفتتناً … فسلْ عن الأبيض الفضي بلبالي
إن كان في الرمح شبرٌ قاتلٌ أبداً … ففي المهنّد شبرٌ غير قتّال

وقال الشيخ جمال الدين طه بن إبراهيم الإربلي الشافعي:

البيضُ أقتلُ مضرَباً … وبمهجتي منها الحسان
والسمر إن قتلتْ فمن … بيضٍ يُصاغ لها السنان

وقال الوزير أبو جعفر بن جرج:

وعائبٍ للبيض ذي إفكِ … عارَضَ بالكافور والمسكِ
دع عنك هذا وانقلب خاسئاً … ما النور مثل الظُّلَم الحُلْكِ

وقال بعضهم :

شكى لي صديقٌ حُبَّ سوداء أُغريت بمصّ لسانٍ لا تَمَلُّ له وِرْدَا
فقلتُ له دَعْهـا تُدَاوِمُ مَصَّهُ فماء لسانِ الثَورِ يصلُح للسَّوْدَا

وقال النواجي مضمنًا :

منْ شبَّه السُّودَ بالبيض الرّشاق فقد أودى بمقلته الأوصابُ والألم
وما انتفاع أخي الدُّنيا بناظره إذا استوتْ عندهُ الأنوارُ والظُّلَم

وقال القيراطي :

من هام بالبيضاء دعه إذا مـا بذل العَسْجَدَ وَالنُّقْرَهْ
وعاشقُ السوداء خذ منه إنْ صفعته ألفـًا من النُّقْرَهْ

وقال أيضًا :

فضَّلَ السُّودَ جاهلٌ قولُه ليسَ ينْهَضُ
كيف تخفى فضائلُ الـ بيض والحقُّ ابيضُ

وقال أبو الفتح محمد بن إسماعيل بن قادوس يذم السواد :

أَهْوِنْ بلونِ السوادِ لونًا ما فيه من حُجة تُناسبْ
لستَ ترى حُمرَةً لخدٍ فيه ولا خضرَةً لشاربْ

وقال الإمام زين الدّين بن الوَرْدِي :

ما السُّودُ كالبيض وصلُ السُّود مَنقصَةٌ فعَدِّ عنهنَّ واذكرْ خجلة الحبَلِ
وارجع إلى الحقّ والطبع السليم تجدْ في طلعة الشمس ما يغنيك عن زُحَلِ

ذكر ما قيل في فضل السمر

قال البهآء زُهَير

لا تَلُحَ في السُّمر المِلا ... ح فهم من الدُّنيا نصيبي
والبيضُ أنفرُ عنهمُ ... لا أشتهي لون المشيب

وقال أيضاً :

السمرُ لا البيض همُ ... أولى بعشقي وأحقّ
وإن تدبرْتَ مقالي ... منصفاً قلتَ صدَقْ
السُّمرُ في لون المَهَا ... والبيضُ في لون البَهَقْ

وقال زين الدّين محمد بن الحسين الأنصاري المَقدِسي :

السمرُ أحسنُ بهجةً ... والَذّ في نظر العيونِ
ولهُنَّ أحلى منظراً ... وأشدُّ شبهاً بالغصونِ
لو لا قوام السُّمر ما ... وصَلَ السّنان إلى المنونْ

وقال علآء الدّين أحمد بن عبد الوهاب بن بنت الأعزّ :

في السمر معانٍ لا تُرى في البيض ... تالله لقد نصحتُ في تقريضي
ما الشهدُ إذا طَعِمته كاللبن ... يكفي فَطِنًا محاسن التعريض

وقال ابن الجهم :

وعائبٍ للسُّمر مِن جَهله ... مُفضِّل للبيض ذي محْكِ
قولوا له عني أمَا تستحي ... مَنْ يجعلُ الكافورَ كالمِسكِ

وقال الوزير أبو جعفر بن جرح :

وسمرآء يأبي كُلفَةَ البدرِ وجهُها ... إذا لاحَ في ليلٍ من الشَّعَر الجَعْدِ
مُحبَّبَةٌ من حبة القلب لونُهـا ... وطينتُها للمسك والعنبر الوَرْدِ

وقال بعضهم :

من السُّمْر اللِّدَان إذا أسبكرّت ... وصرف الموت في السمر اللِّدَانِ

شبيهات الرماح نقا متونٍ ... وكلّما في القلوب بلا سنان

وقال آخر :

سمراء كالغصن الرطيب قوامها ... تسبي الأنام بفاتر الأحداق

ترمي بقوس حواجبٍ من لحظها ... نبلاً يصيب مقاتل العشاق

وقال مالك بن محمد بن سعيد في جارية سمراء ، أورده في المغرب

زارتك في وقت الكرى أسماء ... وهناً وما شعرت بها الرقباء

سمراء والطرف الكحيل سنانها ... ولذاك قيل الصعدة السمراء

وقال ابن نباتة :

بروحي مشروطٌ على الخدّ أسمر ... دنا ووفى بعد التجنب والسخطِ

وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد ... فقبلته ألفاً على ذلك الشرطِ

وقال أيضاً :

مشروطُ خدّ مصحّف كم ... رقيبُ حسنٍ له إزائي

إن قلت ذا الشرط منك شرطي ... قال وهذا الجزا جزائي

وقال أيضاً :

وأسمر في الحبش علقته ... وليس الخطا أيّ لي في حساب

يقولون قس بين هذا وذا ... وكيف يقاس خطاً مع صواب

وقال أيضاً :

وبروحي المشروط في الخدّ يقرا ... منه لحظ الكئيب أحسن خطّ

أعلن الشرط داعياً لهواه ... ففدت مهجتي جواباً لشرطِ

وقال شرف الدين الديباجي :

أتى بالكأس نحوي ذو دلالٍ ... شغفت به من الحبش الملاحِ

فملت إليه فابتسم انبساطاً ... فقلت الليل يبسم عن صباحِ

وقال بعضهم ، أورده ابن حمدون في التذكرة :

معشوقي المشروط حلوٌ قضى ... عليّ بالعشق بتلك الشروط

في الرَّقِّ مخطوطٌ وَلي مالكٌ قد ثبتَ الحسن بتلك الخطوطْ

وقال أبو حفص عمر بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني ، أورده الحافظ محبُّ الدّين بن رشيد في رحلته والحافظ ابنُ حجَر في تذكرته ، ومن خطه نقلت :

وحَبَشيٍّ جَلَّ حبي له مُذْجلَّ فيه الحسنُ عن وصف
بشرطه يجزم صَبْري كما من صُدغه يؤذن بالعطف
شَرْطَتُه زادته في حُسنه زيادة الشرطة في الألف

وقال المعمار :

وخادمٍ قبّاتُ مشروطه في خدّه لكن رأيتُ العَجَبْ
من ناعمٍ حُلوٍ فنادَيْتُه ما أنتَ يا مشروط إلاَّ رُطَبْ

وقال الشهاب المنصوري :

قلتُ للأسمر الذي قد سباني منه شرطٌ يلوحُ مثل الهلال
إن يكن للجمال شرطٌ صحيحٌ فالذي فيه من شروط الجمال

وقال أيضاً :

حبشيٌّ حُسْن قال ها خدّي فلا تَعْدُ التَمامَهْ
ما كانَ أوّله عَلَى شَرْطٍ فآخرُه سلامهْ

وقال أيضاً :

يا بدرُ بالشَّرط استطا لَ فَزُرفتاكَ وخَلِّ مَطْلَكْ
نادى أليس لِيَ المحا سن والبها والشرطُ أملكْ

أخرج جعفر بن أحمد القُمّي في فضائل جعفر ، والرافعي في تاريخه عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دَخَلْتُ الْجَنَّـةَ فَإِذَا جَارِيَةٌ أَدْمَاءُ لَعْسَاءُ فَقُلْتُ : مَا هٰذِهِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قال : إن الله تعالى عرَفَ شهوةَ جعفر بنِ أبي طالب للأُدْمِ اللعْس فخلق له هٰذه .

ذكر ما قيل في السود

قال أبو الفتوح بن قلاقس:

رُبَّ سوداءَ وهي بيضاءُ معنًى ... فهي مسكٌ إن شئتَ أو كافورُ
مثلُ حَبِّ العيون تحسبهُ النا ... سُ سواداً وإنما هو نورُ

وقال الحافظ أبو الحسن بن المفضل المقدسي:

وسوداءَ قد أحللتُها من حُشاشتي ... محلَّ سوادَيْ ناظري وجَناني
إذا رُمتُ عنها سلْوةً قادني الهوى ... إليها ومالي بالسُّلُوِّ يدانِ
وما هي إلاّ المسكُ لونًا وقيمةً ... ونَشْراً وزادت عنه باللَّمعانِ
وأحببتُها حبَّ الشباب لأنني ... رأيتُها في العَيْن يشتبهانِ

وقال أبو الحسن بن أبي الفتح البكري:

يا مَن فؤاديَ فيها ... متيَّمًا لا يَزالُ
إن كان لليلِ بدرٌ ... فأنتِ للصُّبح خالُ

وقال بهاءُ الدين أبو الحسن علي بن محمد بن رستم الساعاتي:

زعموا أنني بجهلٍ تعشَّقْـ ... ـتُكِ سوداءَ دونَ بيض الغواني
ليس معنى الجمال فيكِ بخافٍ ... إنما أنتِ خالُ خدِّ الزمانِ

وقال إبراهيم بن سيابة وقد عشق سوداءَ فلامَه أهلُه عليها:

يكون الخال في وجهٍ قبيحٍ ... فيكسوه الملاحةَ والجمالا
فكيف يُلام في عشقٍ عَلى مَن ... يراها كلها في العين خالا

وقال الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري الشافعي المقري شارح الشاطبية:

لما أعانَ الله جلَّ بلطفه ... لم تَسْبِني بجمالها البيضاءُ
ووقعتُ في شَرَكِ الردى متحيِّلاً ... وتحكَّمتْ في مهجتي السوداءُ

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي:

قد قال يمنٌ وهو أسودُ للذي ... ببياضه يعلو علوَّ الخائنِ

مافخر وجهكَ يا جهول وهل ترى　　أَن قد أَفدتَ به مزيدَ محاسن
ولوَ أَن مني فيه خالاً زانه　　ولوَ أنتَ منه فيَّ خالاً شانني

وقال أَيضًا :

لك وجهٌ كأَنَّ يُمناك خطته　　بلفظٍ تُمله آمالي
فيه معنًى من البدور ولكنْ　　نفضتْ صِبغها عليه الليالي
لم يَشِنْك السواد بل زدت حسنًا　　إنَّما يلبَس السوادَ الموالي

وقال يعقوبُ بن رافع وقيل للعباس بن الأَحنف:

أُحبُّ النساءَ السودَ من أجلِ تُكتَمٍ　　ومن أجلها أَحببت من كان أسودا
فجئني بمثل المسك أطيبَ نكهةً　　وجئني بمثل الليل أطيبَ مَرقدا

وقال آخر :

وإن سواد العَين في العَين نورُها　　وما لبياض العين نورٌ فيُعلَما

وقال الشاعر المكفوف لما اشتهر قولي :

حبُّ سُود النساءِ من لذَّة العيـ　　ـش عليَّ أنه حياةُ القلوب
مُشْبِهات الشباب والمسكِ تفديـ　　ـهنَّ نفسي من طارقات الخطوب
كيف يهوى الفتى اللبيبُ وصال الـ　　ـبيض والبيضُ مُشْبِهات المشيب

قال: لَقِيَتْني امرأَةٌ فقالت لي : أنت الذي أَعمى الله بصيرتك كما أَعمى بَصَرَك؟ قلت: وما ذاك؟ قالت : أَلستَ القائل؟ وذكرتِ البيتين ٠

وقال الشريف الرضي :

أُحبك يا لونَ الشباب فإنني　　رأيتكما في العين والقلب توءَما
سواد يودّ البدر لو كان رُقعةً　　بجبهته أو شُقّ في وجهه فما
سكنتَ سوادَ القلب إذ كنت مثله　　فلم أَدرِ من عزَّ من القلبُ منكما
وما كان سهمُ العين لولا سوادُهُ　　ليبلُغ حبّاتِ القلوب إذا رَمى
إذا عَشِقَ الظبيُ اللَّميُ فلا تلُم　　جنوني على الظبي الذي كلُّه لمى

وقال محمد بن يونس البيساني في سوداء تسمّى درّة :

يا رُبَّ سوداء تسمَّى دُرّةً ... ومن العجائب دُرّةٌ سوداء
سوداء ليلُ الوصل منها أبيض ... ومن العجائب ليلةٌ بيضاء

وقال وجيه الدين عبد الكريم المُناوي في سوداء :

يا رُبَّ سوداء تُجلَى ... بحسنها الظُلُماتُ
ماذا يَعيبون فيها ... وكلُّها حسناتُ

وقال القيراطي

من نسل حامٍ قد سبته مليحةٌ ... فصبا ولم يرجع إلى نُصَحائه
هيهات يُسليه مقالُ معنِّفٍ ... ومحبةُ السوداء في سودائه

وقال القاضي أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن قادوس في سوداء :

وعاذلٍ مُحتفِلٍ ... مُجتهدٍ في عَذَلي
يلومني في ظبيةٍ ... مخلوقةٍ من كَحَلِ
إن السواد غَلَّةٌ ... من نور هذي المُقَلِ
والحجر الأسودُ لم ... يُخلَق لغير القُبَلِ
والقارُ قد كان وِعًا ... للسلسبيل السَلْسَلِ

وقال بعضهم :

سوادُ عينيَّ فِدا أسودٍ ... في داخل القلب له نُقطَهْ
البدرُ ما استكمل في حُسْنه ... حتى اكتسى من لونه خَطَّهْ
مُخَطَّطٌ بالحسن لكنّما ... قلبي من الخَطة في خُطّهْ

لبعضهم :

ألأَمُ في سوداء قبَّلتُها ... والعُذرُ لي في ذاك لا يُجحَدُ
جُلُّ حجار البيت بيضٌ وما ... قبِّل إلّا الحجرُ الأسودُ

وقال سيف الدين المشدّ في امرأة سوداء :

سوداء كالعنبر معجونة بالمسك والماوَرْدِ والعُود
كأنما نغمةُ مِزمارها لما بدا مزمورُ داوُد

وقال أبو إسحاق إبراهيمُ بن خَفاجة في مُغَنِّيَة سوداء :

ذا جمال مفرَد نفسي لها مما يريبُ فداءُ
سوداء مطربة الغناء كأنها في الحالتين حمامةٌ ورقاءُ

وقال آخر في سوداء :

يا آبنوسيّ التي ألهو بها ما بال ثغركِ وحده قد فُضِّضا
أضحت كلكِ شامةً مسوَدّةً وبسمت عنه فكان خالاً أبيضا

وقال الفرَزْدق في جارية له سوداء :

يا رب خَوْدٍ من بنات الزّنجِ تحملُ تنّوراً شديدَ الوهْجِ
أقْعَبَ مثلَ القدَح الخَلَنْجِ تزدادُ ضيقاً عند طول الرّتجِ

وقال تقي الدين شبيب بن حمدان الأديب :

وبديعةِ الحركات أسكن حبُّها حَبَّ القلوب لواعجَ البُرَحاء
سوداء بيضاء الفعالِ وهكذا حَبُّ النواظر خُصَّ بالأضواء
أسرَت محاسنُها العقولَ فأطلقت أسرى المدامع ليلةَ الإسراء
فلئن جُنِنتُ بحبّها لا بدْعة أصلُ الجنون يكونُ بالسوداء

وقال أبو منصور علي بن الحسن الكاتب المعروف بصرّدُرّ في سوداء :

عُلِّقتُها حمّاء مصقولة سواد قلبي صفةٌ فيها
ما انكسف البدر على تمّه ونوره إلاّ ليحكيها
لأجلها الأزمان أوقاتُها مؤرّخاتٌ بلياليها

وقال الوزير أبو القاسم المغربي :

يا رُبَّ سوداء تيّمتني يحسُنُ في مثلها الغرامُ
كالليل تُستَسهلُ المعاصي فيه ويُستَعذَبُ الحرامُ

وقال أبو تمام بنُ رَباحٍ :

يا لُعْبةً بذوي الألباب لاعبةً ... في أصل حسنك معنى غير متّفقِ
خُلقتِ بيضاءَ كالكافور ناصعةً ... فصرتِ سوداءَ من سوّاك في الحدَقِ

وقال أيضاً :

وسوداءَ الأديم إذا تبدّتْ ... ترى ماءَ النعيم جرى عليهِ
رآها ناظري فصبا إليها ... وشِبهُ الشيءِ منجذبٌ إليهِ

وقال ابنُ الجهم :

غصنٌ من الآبنوس أبدى ... من مسك دارينَ لي ثمارا
ليل نعيمٍ أظلُّ فيه ... للطيب لا أشتهي نهارا

وقال الحسن بن رشيق :

دعا بكِ الحسن فاستجيبي ... يا مسكُ في صبغةٍ وطيبِ
تيهي على البيض واستطيلي ... تِيهَ شبابٍ على مشيبِ
ولا يرُعْك اسودادُ لونٍ ... كمقلة الشادن الربيبِ
فإنما النورُ عن سوادٍ ... في أعيُن الناس والقلوبِ

وقال آخر :

يا غُصناً مِن سَبَجٍ رَطْبِ ... اصبح منك الدُّرُّ في كَرْبِ
سكنت من قلبي مكان الذي ... أشبهته من حبّة القلبِ

وقال البدر بن الصاحب :

علقتُ سوداءَ كعين المَهَا ... أو كالظِّبا فالعيشُ فيها يطيبْ
لا تعجبوا من فرْطِ أُنسي بها ... فإنما الليلُ نهارُ الأديبْ

وقال بشّار :

يكون الخال في خدٍّ مليحٍ ... فيكسوه الملاحةَ والجمالا
ويُنقه لأعيُنِ مُبصريه ... فكيف إذا رأيت اللون خالا

وقال أَبو علي البصير :

لم يَعبْها استحالة اللون عندي ... إِنهـا صبغةٌ كلون الشباب

وقال آخر :

كُسيَت من أَديمها الحالُ الجُو ... نِ غشاءً أَحسِنْ به من غِشاءِ
أَشبهها صبغةَ الشَّباب ولِمَّا ... تِ العذارى ولبسةَ الخطباءِ

وقال أبو الحسن علي بن العباس الرُّومي :(١)

سوداءُ لم تنتسب إِلى برَصِ الشُّقْـ ... ـرِ ولا كُلفَةٍ ولا بهَقِ
ليست من العُبْس الاكُفِّ ولا الفُلْـ ... ـحِ الشِّفاه الخبائث العَرَقِ
بل من بنـات الملوك ناعمةٌ ... تَنشُر بالدَّلّ ميتَ الشبَقِ
تجري ويجري رَسيلُهـا معها ... شأوين مستعجلين في طلَقِ
في لين سمّورة تخيّرها الفـ ... ـراءُ أو لين جيّدِ الدلَقِ
هيفاءُ زِينَتْ بخَمْص مختصَرٍ ... أَوفى عليه نُهود مُعتنَقِ
غصنٌ من الآبنوس رُكّب في ... مؤتزَرٍ معجبٍ ومنتطَقِ
يهتزُّ من ناهدَيه في ثمرٍ ... ومن نواحي ذُراه في وَرَقِ
أَكسبها الحسنَ أَنهـا صُبغتْ ... صبغةَ حَبّ القلوب والحدَقِ
فانصرفتْ نحوَها الضمائر والـ ... أَبصارُ يُعنِقْن أَيّمـا عَنَقِ
يفترُّ ذاكَ السوادُ عن يَقَقٍ ... من ثغرهـا كاللآلئ النسَقِ
كأَنها والمزاحُ يضحكهـا ... ليلٌ تفرّى دُجاهُ عن فلَقِ
سخماءُ كالمُهرة المهمسة الـ ... ـدّهماء تمصو أَوائل الفُنقِ(٢)
لهـا حِرٌ تستعيرُ وَقْدَته ... من قلب صبٍّ وصدرِ ذي حنَقِ

---

(١) قيل إِن أَبا الفضل الهاشميّ كانت عنده سوداءُ يحبها حبًّا شديداً فطلب من ابن الرّومي أن يذكرها في شعره ويستغرق أَوصافها الباطنة والظاهرة. فقال هذه القصيدة وأشار عليه فيها أن يولدها فإِنها جديرة بأَن تأتيه بولد ذكر فامتثل أَبو الفضل ما أَشار به ابن الرومي عليه فأَولدها فأَنجبته · (٢) كذا في الأَصل·

كأنما حزّةُ لخابره . ما ألهبتْ في حشاهُ من حُرَقِ
يزدادُ ضيقاً على المِراس كما تزدادُ ضيقاً أنشوطة الوَهَقِ
يقول من حدّث الضميرَ به طوبى لمفتاح ذلك الغَلَقِ
له إذا ما القُمُدُّ خالطه ازمٌ كأزم الخِناق بالعنُقِ
أخلِقْ بها أن تقومَ عن ذَكَرٍ كالسيف يفري مضاعفَ الحلَقِ
إنَّ جفون السيوف أجودُها اسودُ والحقُّ غير مختلَقِ
وبعض ما فُضّل السوادُ به والحقُّ ذُو سُلَّمٍ وذُو نَفَقِ
أن لا يُعابَ السوادُ حلكتُه وقد يعابُ البياضُ بالبَهَقِ

وقال شمسُ الدّين بن الخياط في جارية سوداء اسمها حُلوَة :

خلّني من ذكر عَلْوَهْ ليس لي في البيض شهوَهْ
وأعِدْ لي ذكرَ سودا ء لها عنديَ حُظوَهْ
ذات حسنٍ بهواها كلّ قلب حِلْفُ صبوهْ
تفضُل البيضَ بوجهٍ سعدُهم إن لاح شِقوهْ
لم يزَلْ من خَلقها وال خُلْق لي روضٌ وقهوهْ
فلعيني نزهةٌ منـ ـها كما للقلب نشوهْ
عذبة الألفاظ كم حـ ـنَّ إليها ربّ قسوهْ
كيف تَعْرى وعليها من لباس الحسن كسوهْ
لونُها الأسود يزهو إن بدتْ في بيض نسوهْ
فهي سوداء لديها ليس للبيضان جَلوهْ
أوحشتني وأنيسي ذكرُها في كلّ خَلوهْ
عقبتْ وصلي بهجرٍ بدّل الرّقة جفوهْ
وخطا الدّهر إليها بالمنايا أيَّ خطوهْ
وسطا الموت عليها ولحكم الموتِ سَطوهْ
ليتني متُّ ليبقى لي بها في الموت أُسوهْ

يا عذولي ليس لي عن   حبها ما عشت سَلْوَهْ
لا تَسَلْ عن عيشةٍ لي   مُرَّةٍ من بعد حلوهْ

وقال الإمام زين الدّين عمر بن الوردي :

لوكان يرضى بحكمي   في الحسن سودٌ وبيضُ
لقلتُ للسود سُودُوا   وقلتُ للبيض بيضوا

وقال صاحبنا الشهاب المنصوري في سوداء :

مسكية اللّون قد تجاذبها   طرفي المُعَنّى بها وأحشائي
كأنما صاغها المهيمن من   سواد قلبي أو من سُوَيدائي

وقال أيضاً :

سوداء حالكة الإهاب إذا بدَتْ   تسبي النواظرَ والقلوبَ جمالا
وَدّت حسان البيض أن لو صيَّرتْ   من لونها في كلّ خدٍّ خالا

وقال الإمام أبو حيّان :

عُلِّقتهُ سبَجيّ اللّحظ حالكَهُ   ما أبيض منه سوى ثغر حكى الدُّرَرا
قد صاغه من سواد العين خالقهُ   فكلّ عينٍ إليه تقصدُ النظرا

ذكر من انصف

قال البهاء زهير :

إسمع مقالة حقٍّ وكن بحقك عوني
إن المليح مليحٌ يُحَبُّ في كلّ لون

وقال الصاحب جمال الدين ابن الحسين يحيى بن عيسى بن مطروح :

اعشق البيض ولكن خاطري بالسمر أعلقْ
إن في البيض لمعنًى غير أنّ السُّمْر أرشقْ
وظلال الأيكِ عندي من هجير الشمس أوفقْ
وشذا العنبر والمسـ ـك من الكافور أعبَقْ
وإذا أنصفت والإنـ ـصافُ بالعاقل أليَقْ
فبديع الحسن يهوى كيف ما كان ويُعشَقْ

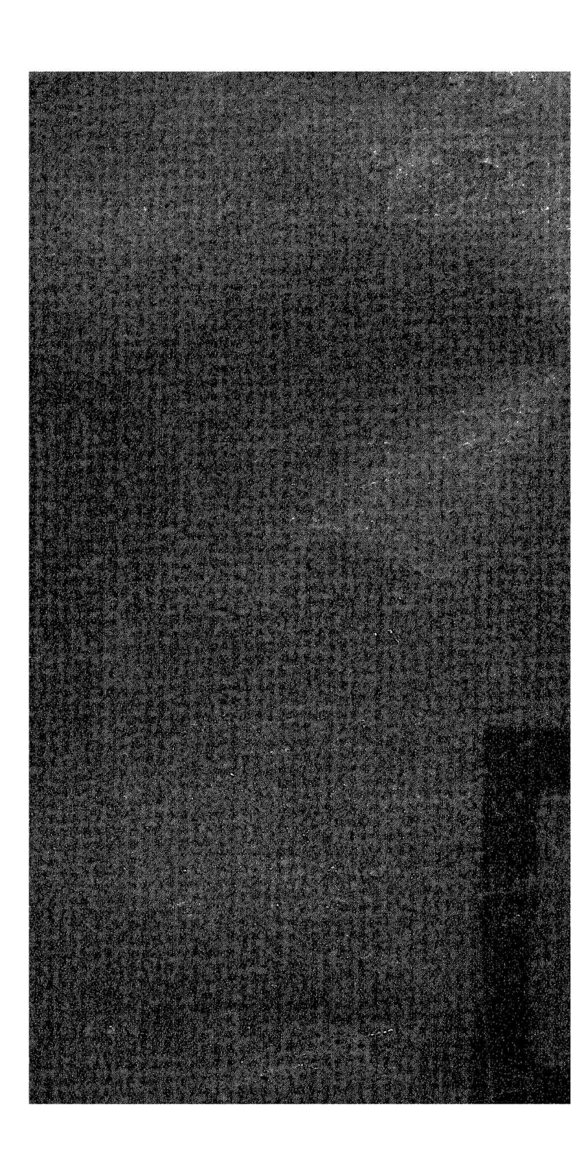
وقال شرف الدين صالح بن جعفر بن معاوية ، أنشده عنه أبو حيّان :

الحبُّ أفتكُ في الرّجال من الظُّبا فاسأل بذلك إن سألتَ مجرّبا
انا ذاك فاسأل إنني مذ لم أزل بالبيض والسُّمْر الحسان معذَّبا
كَلِفًا بهنّ مولعـًا لا أبتغي عن مُذهبات النسك يومًا مَذْهبا
من كلّ ظمياءِ الحشا بهنانةٍ ريّا الروادف طَفْلَةٍ مِلْءِ الخبا
ما قابلت شمس الضحى إلاّ اختفت خجلاً ولا قمرَ الدُّجى إلاّ اختبا
الليلُ فاحمها وطلعتها الضحى والنحلُ ريقتها وناظرُها سبا
وإذا مشت تهتزُّ من ترَف الصِّبا كالغصن حين تهزّه ريح الصبا
وبخدّها وردٌ جنيٌّ مضعَفٌ بعثت عليه من السوالف عقربا

وقال الشهاب بن الشابّ التائب :

يُحَقّقُ حُسْنُ السُّمْر بعد تأمّلٍ ويُدرَك حُسنُ البيض من لمحة البَصَرْ
وذاك لأنّ العين في الشمس ينجلي لناظرها ما ليس يَظهر في القَمَرْ

تمت



مطبوعات

المكتبة العربية لأصحابها عبيد إخوان بدمشق — صندوق البريد ١٩

قرش مصري	
١٠٠	تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ أجزاء للشيخ عبد القادر بدران
٢٠	الجزء السادس (يصدر قريباً) 〃 〃 〃
٦٠	النَّشْر في القراآت العشر لابن الجزري جزآن
٢٥	مشاهير شعراء العصر (الأوّل في شعراء مصر) جمعه وشرحه أحمد عبيد
٢٥	روضة المحبين لابن قيّم الجوزية صححها وعلق عليها 〃 〃
٢	أحكام النظر (مجرّدة من روضة المحبين) 〃 〃 〃 〃 〃 〃
٢٥	طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى اختصار النابلسي 〃 〃 〃 〃 〃 〃
٧	سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم 〃 〃 〃 〃 〃 〃
٢٧	المراح في المزاح لبدر الدّين الغزي 〃 〃 〃 〃 〃 〃
٤	طرائف الحكمة جزآن جمعها ورتبها 〃 〃
٠٧	في سبيل الأخلاق (قصيدة) نظمها 〃 〃
٢٠	ديوان البُحتُري جزآن بالشكل الكامل مع فهرس القوافي
٥	〃 أبي فراس الحَمْداني
١٠	معاني الشعر للأشنانداني رواية ابن دُرَيد
١٧	نظم اللآل في الحِكَم والأمثال لعبد الله باشا ف…
٤	الخيال في الشعر العربي للسيد محمد الخضر حسين
٣٠	موجز فن الجراثيم (بالاشكال الملونة) للطبيب الجراثيمي …
١٥	〃 〃 〃 (من غير أشكال) 〃 〃
٢٥	صحة الأُسرة ٣ أجزاء 〃 〃
١٧	ماجدولين والشاعر (خلاصة ماجدولين شعراً) للسيد …
٥	المُعيد في أدب المفيد والمستفيد للعَلْموي (تحت الطبع)